

سلسلة
آفاق عالمية
51
لعبة الحياة
مختارات من القصة الإيرانية القصيرة
ترجمة وتقديم: د. هويدا عزت محمد
الهيئة العامة لقصور الثقافة

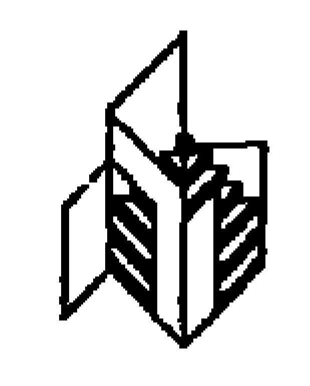
«لعبة الحياة»
مختارات من القصة الإيرانية القصيرة

«لعبة الحياة»

مختارات من القصة الإيرانية القصيرة

ترجمة وتقديم

د. هويدا عزت محمد



الهيئة العامة
لقصور الثقافة

سلسلة
آفاق عالمية

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• لعبة الحياة
• هويدا عزت محمد
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - ٢٠٠٦م
٨٨ص، ٥ر١٣ × ٥ر١٩سم
• تصميم الغلاف: أحمد اللباد
• المراجعة اللغوية: ممدوح بدران
• رقم الإيداع: ١٦٩٠٩ / ٢٠٠٦
• الترقيم الدولي: 7-998-305-977
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالي: ١٦ أ شارع أمين سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدي ١١٥٦١
ت: ٧٩٤٧٨٩١ (داخلي: ١٨٠)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: ٢٩٠٤٠٩٦

٥١

سلسلة شهرية تعني بنشر الأعمال المترجمة إلى اللغة العربية في الأدب والنقد والفكر من مختلف اللغات

« لعبة الحياة »
مختارات من القصة الإيرانية القصيرة

تقديم

إن عالم المرأة عالم شديد الخصوصية، يكتنفه العديد من الأسرار، وما تبديه المرأة من مشاعر وأحاسيس وانفعالات تجاه ما حولها ومن حولها أقل بكثير مما يختلج بين ضلوعها، والمتصفح للأدب النسائى بشقيه الشعرى والنثرى، يستطيع أن يتلمس بعض ما يحويه هذا العالم بالقدر الذى تسمح به الأديبة وكما تظهره عبر مفردات لغتها الشعرية أو النثرية وفقاً لمنظورها ورؤيتها الخاصة.

هذا وقد حاولت الاقتراب أكثر من هذا العالم، فتصفحت بعض القصص القصيرة للعديد من الكاتبات الإيرانيات فى عصرنا، ووقع اختيارى على كاتبتين، هما : فريده خردمند وطاهره علوى.

الأولى درست الأدب الدرامى والمسرحى فى كلية الفنون

الدرامية، عملت لمدة ثلاثة أعوام فى مسرح الإذاعة والتليفزيون بطهران، ثم اتجهت بعد ذلك لدراسة فن كتابة القصة السينمائية، وزاولت نشاطها من بعد فى تأليف القصة.

من مؤلفاتها ثلاث قصص فى أدب الأطفال، تحت عنوان : «آرزوى سهره»، و «بادبادك» و «عروسكم ورنكَها» بالإضافة إلى ثلاث مجموعات قصصية تحت عنوان : «پرنده هست» و «آرامش شبانه وسيلويا» و «سيلويا». ومجموعتها القصصية «پرنده هست» - أى الطائر - تضم تسع عشرة قصة قصيرة، وقد وقع اختيارى على سبع منها لترجمتها.

أما طاهره علوى فقد برعت فى تدوين القصة القصيرة، وتناولت الأمور الحياتية بشكل يتسم بالواقعية وبأسلوب يتدفق بالعذوبة والسلاسة. من مؤلفاتها ثلاث مجموعات قصصية تحت عنوان : «من وهايدكَر»، و «زندكَى من درسه شنبه ها اتفاق من افتد» و «زن درباد» والمجموعة الأخيرة «زن درباد» - أى امرأة فى مهب الريح - تحوى تسع قصص قصيرة، يبدو فيها بجلاء تمكن الكاتبة من مفردات اللغة وإجادتها فى العرض وفقاً للتكنيك الفنى للقصة. هذا وسوف أعرض لترجمة ثلاث قصص

من هذه المجموعة.

وفى النهاية، أرجو من الله العلى القدير أن يكون قد وفقنى إلى أن أقدم للقارئ العربى رؤية واضحة لعالم المرأة فى أحد المجتمعات الشرقية الإسلامية، تعينه على إدراك الصورة الحقيقية لعادات وتقاليد وثقافة هذا المجتمع.

هويدا عزت

«أوليا»

فريده خردمند

جميعنا يحبُ أوليا، أنا وأختى وفرهانة التى تعيش أوليا فى منزلها، وحتى والدة فرهانة السيدة سرهنج التى دوماً ما تصدر الأوامر إلى أوليا، وتقوم بتوبيخها حينما تكون غاضبة، وأمى تحبها أيضاً على الرغم من قلة رؤيتها لها.

اتسمت أوليا بهدوء الطبع وقلة الحديث، دوماً تبتسم، كانت ترتدى عباءة مزركشة جميلة حينما جاءت منذ ثلاثة أعوام مع والدها إلى المدينة، وظلت فى منزل السيدة سرهنج، لم نر شقيقها إبراهيم لكن والدها كان يأتى إلى المدينة مرة كل شهر حتى يراها ويأخذ أجرة عملها، لم تكن أوليا من النوع حاد المزاج بل كانت تبتسم دوماً.

كان الطقس صيفاً، وأحياناً كنت أذهب مع أختى إلى منزل

فرهانة الذى يبعد عن منزلنا بثلاث حارات، كنا نجلس تحت شجرة الصفصاف فوق الخضرة ونجهز مائدة صغيرة، ونشعل ثلاث شمعات بين حجرين متوازيين ونضع فوقهما إناءً صغيرا يحتوى على الأرز والطماطم، ونجلس عرائسنا حول الموقد، وعندما تفوح رائحة الأرز نشعر بالجوع.

وفى الأيام التى لا توجد فيها والدة فرهانة فى المنزل، وتقل الأعباء المنزلية على أوليا، تأتى لتجلس بجوارنا وتنظر إلينا فى لهونا وتبتسم ومهما ألححنا عليها كى تشاركنا لهونا لا تستجيب وحينما يعلو صوت الباب تقفز من مكانها، كنت أعلم مدى خشيتها من السيدة سرهنج، وأنا كذلك كنت أخشى حركة عينيها فى بعض الأحيان.

كانت فرهانة وأختى زميلتين فى فصل دراسى واحد، بالأمس بينما كنا نلهو كانتا تتهامسان وتضحكان، فغضبت منهما، وحملت عروستى وذهبت بعيداً عنهما، وجلست أمام أوليا وهى تقوم بتنظيف الخضروات فى المطبخ، وجعلت أنظر إليها فى سكون. إننى أحبها أكثر من أختى وفرهانة، جعلت أتحدث إلى عروستى بينما أختلس النظر إلى يديها اللتين تماثلان يدى فى الطول.

وفى أوقات العصر كنا نركب الدراجة بينما تقف أوليا أمام الباب تنظر إلينا، إنها لا تستطيع حفظ توازنها أثناء ركوب الدراجة، فحينما فعلت ذلك اشتبكت عباءتها بالجنزير وتمزقت.

كان لفرهانة دراجة جميلة، كنا نركبها كل فى دوره، وحينما يحل الدور علىَّ لا أحاول السير فى الطرق المنحدرة، وحينما تأخذ الدراجة سرعتها أترك عجلة القياة وأبدو وكأننى لاعبة ماهرة، فتضحك أوليا وأنا كذلك لكننى سرعان ما كنت أمسك بعجلة القيادة خشية الارتطام بالأرض، وتمد أوليا يدها إلىَّ فأحييها تحية الأبطال.

أذكر أن مثل هذا المشهد كان فى أحد الأفلام التليفزيونية، إننى أحب الأفلام وأحفظها عن ظهر قلب، مثل : «أربعة من رجال القانون» و «الهروب» كما أعلم جيداً جميع البرامج التليفزيونية ومواعيد إذاعتها.

وفى الغروب نعود إلى المنزل منهكين متعبين، وبعدها نسمع صوت أقدام والدنا وهو عائد من الخارج بأكياس الفاكهة التى عادة ما يكون قاعها رطباً أو ممزقاً قليلاً.

وبعد ما يحل الليل، أمدد جسدى فوق مخدعى على وسادة

لينة بجوار دميتي وأعد النجوم حتى يغلبنى النوم وأنا لم أصل بعد إلى العدد ثلاثين، حيث تتلاشى النجوم أمام عينى ولا أراها.

خلال النهار أحيك لعروستي فستاناً مزركشاً أنيقاً، وقد أطلقت عليها اسم أوليا، كانت أمى تقول : هذا اسم نحس وأندم لأننى ذكرت اسمها أمام أمي، وحينما تخرج من الغرفة، أقف أمام المرآة، وأتعهد بينى وبين نفسى بألا أتفوه بسر أبداً، أمام من يكبرنى، حتى أمام أختى.

وفى اليوم التالى، توجهنا إلى منزل فرهانة وجعلنا نلهو حتى الغروب، وعند الرحيل قدمت دميتى إلى أوليا، فأخفتها بدورها تحت العباءة، لقد كنت أماً لدميتى خلال أوقات النهار، وفى أوقات الليل تقوم أوليا بهذا الدور، لا أعلم لم كنت أتخيل أن أوليا تطلق اسمى أيضاً على الدمية ؟!

واليوم تسلقنا معاً تكعيبة العنب، وقطفنا الأوراق الخضراء والغد هو عيد ميلاد فرهانة، إننى لا أعلم متى ولدت أوليا؟ حينما كنت أسألها كانت تبتسم فقط، وكأنها لا تعلم هى الأخرى تاريخ ميلادها.

وارتدت فرهانة فستاناً من البيليسيه، كان أجمل فستان بين كل المدعوات، وعقدت شعرها بورده بيضاء اللون كبيرة الحجم، وقمت بعد الشمع الملون الصغير فوق كعكة عيد الميلاد :

١، ٢، ٣، ٤، ......، ١٣. كانت والدتها تتنقل هنا وهناك بحذاء يصدر صوتاً، وتقوم بإشعال الشمع بينما التفت صديقات فرهانة حولها، كانت أختى بينهن، ومالت فرهانة نحو المائدة، ونفخت فى الشمع فلم ينطفئ، نفخت ثانية، وصفق الجميع، وقسمت الكعكة. وكم ألححت على أوليا كى ألتقط لها صورة إلا أنها كانت ترفض بشدة، وأعربت السيدة فرهنج عن ضيقها وتبرمها، ففرت أوليا تجاه المطبخ.

كان والدها طويل القامة، عريض المنكبين، ذا هيبة، لا ينظر فى عين شخص قط، كانت يداه كبيرة الحجم. أحضرت أوليا الشاى وقدمته إليه، وأحضرت والدة فرهانة بعض النقود ووضعتها بجوار الصينية.

انتهى فصل الصيف وذهبت مع أمى لشراء بعض الاحتياجات، اشترت لى إيشارباً وحذاء وجورباً وكراسة وقلماً وحقيبة. لم تذهب أوليا إلى المدرسة، لقد احتفظت لها بقلم

وكراسة بعيداً عن أنظار أمي.

وبعد عدة أيام بدأت الدراسة، وجلست في الفصل بجوار النافذة، كانت جميع حواسي تتجه نحو العصافير وأصواتها، لم أكن أدرى لم يشبه أحدها أوليا؟ فبين هذه العصافير كان يوجد عصفور يختلف عن الجميع، حيث كان أكثر هدوءاً، لقد اشتقت إلى أيام الصيف الطويلة ورائحة الأرز بالطماطم. لم أكن أحب الحساب والهندسة، وعلى العكس كنت أحب حصة الإملاء والتعبير، كنت أصغى باهتمام بالغ لكل من يقرأ موضوع التعبير، وأنتظر حتى تنادينى المعلمة فى دورى.

وعلى الرغم من بداية الدراسة إلا أننا كنا نداوم على ركوب الدراجة فى أوقات العصر، كنت أتفحص بنظرى الأوراق الجافة على الأرض وأسير فوقها بالدراجة لا أدرى لم أعادت أوليا إلى الدمية أثناء رحيلى وهى منكسة الرأس؟ لم أتمكن من رؤية وجهها، لكننى كنت أشعر بأنها لن تبتسم ثانية، أخذت الدمية وجعلت أبكى طوال الطريق حتى وصولى إلى المنزل، وعندئذ، وكالعادة، تتشاجر أختى معى ثم تبادر بالشكوى إلى أمى، فأستاء من هذا السلوك، وأمتنع عن تناول العشاء، وأمدد

جسدى على وسادة باردة، وأوليا تنام بجوارى. لم تعد لى طاقة على عد النجوم، أبكى، تتحرك النجوم وتنسال من بين ثنايا عينى.

لا أعرف شخصاً قط فى هذا الحفل الكبير سوى فرهانة وأختى، كانت أوليا تتشح بالسواد من الرأس حتى إخمص القدم، تجلس صامتة بجوارى، بينما كانت أختى وفرهانة تبدوان وكأنهما تبحثان عن شخص ما بين المدعوين، كنت أسمع صوت حذاء والدة فرهانة، لكننى لم أكن أراها، والتفت فلم أجد أوليا بجوارى، كانت أختى تطل برأسها من وراء الحائط وتشاور بيديها واتجهت إلى حجرة أوليا، كانت عباءتها المزركشة فى أحد أركان الحجرة، لكن أوليا غير موجودة.

استيقظت من النوم، وتوجهت إلى أختى التى كانت تغط فى نومها، مددت جسدى بجوارها، وألصقت نفسى بها وتكورت من شدة الخوف.

اليوم أحاول أن أتتبع أثر العصافير من نافذة الفصل، لكن لا أثر لها. وفى العصر، رغبت فى الذهاب إلى منزل فرهانة إلا أن أختى رفضت رغم شدة إلحاحى، وتوجهت إلى حجرتها، فذهبت

بمفردى.

كنت أتخيل فى البداية أننى دخلت إحدى الحارات على سبيل الخطأ، لا أعلم لم كانت الحارة غير مألوفة لدىّ ؟!

كان باب المنزل مفتوحاً، تفقدت المكان، كان البعض يقف فى الفناء، بينما يعلو صوت بكاء إحدى السيدات. وقفت تحت التكعيبة، وسمعت صوت أقدام فالتفت ورائى، فإذا بوالد أوليا يسير بجوارى دون أن ينتبه لى، وحينما بلغ البوابة جعل ينوح ويبكي. هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها صوت بكاء رجل، ارتعدت فرائصى، تراجعت خطوة بعد الأخرى، رفعت رأسى إلى أعلى، لقد تسلقنا التكعيبة مع أوليا، كنا نقطف معاً أوراقها الخضراء، وتفوح رائحة الأرز بالطماطم، وتضحك أختى وفرهانة، وتطفئ الرياح شعلة الشمع.

توجهت إلى المنزل، كانت أمى تبكى داخل المطبخ دون أن تصدر صوتاً، وانكمشت أختى تحت الملحفة وهى ترتعد، لكننى لا أصدق، إننى حتى لم أذرف قطرة دمع واحدة.

النافذة

فريده خردمند

مددت جسدى تحت شجرة ضخمة وسط المستشفى، أضع عليه ملحفة زرقاء اللون، وبجوارى «غزال» تلوح بيديها الرقيقة فى الهواء، ويقف منصور بجوار السرير وفى يده ثلاث أزهار من مريم وهو يبتسم. تتقدم يدا امرأة شابة، أنظر إليها فى خشية، إنها تريد «غزال»، أضم الطفلة بين ضلوعى، أمعن النظر إليها حتى أضنانى التعب، تتحرك الطفلة أثناء نومها دون أن تستيقظ، وتميل هذه المرة نحو سريرى، تمد يديها إلى الأمام، تتعالى صيحاتى، تسقط أزهار مريم من يد منصور، تتوارى «غزال»، أعض على شفتى ويأخذنى البكاء. ينظر منصور إلىّ وإلى «غزال» فزعاً مضطرباً، يتصبب العرق من جبينى، يخفق قلبى بشدة، أزيح الستار جانباً، ويقع نظرى على النافذة المجاورة.

بعد عدة أيام من البحث عثرت أنا ومنصور على شقة صغيرة ذات سلم ضيق قليلاً، لكننا حين ندخلها تجذبنا نوافذها، منزل صغير إلا أنه نظيف تماماً، به حمام وتواليت صغير، مساحة المطبخ تسمح فقط بوجود ثلاجة، وموقد غازى، ومائدة وكرسى أو اثنين «جحر فئران»، هذا هو الاسم الذى كانت تطلقه أمى على المنزل، وما كان يعوضنى عن ذلك هو سهولة تنظيفه، والأهم من ذلك نوافذه، فحينما نفتحها نرى السماء والأرض والأشجار والعصافير والنافذة المجاورة.

انتقلنا إليه فى غضون ثلاثة أيام، وها أنذا أستقل الآن عن منزل أبى بعد مكوثى فيه ثلاثة أعوام، الآن أستطيع أنا ومنصور أن نكرر القول على أصدقائنا وأفراد الأسرة بكل خيلاء : «تفضلوا إلى منزلنا» وفى الأيام الأولى زارنا بعضهم وقمنا باستقبالهم فى «جحر الفئران» هذا ذى الستين متراً بحفاوة بالغة، وقدمنا إليهم الشاى والحلوى.

لقد حصل منصور على شهادة البكالوريوس فى هندسة إنشاء الطرق والمبانى، ويعمل الآن فى إحدى الشركات الخاصة المتعثرة على حد قوله، أما أنا فقد درست فن الديكور، وأنهيت

دراسـتى منذ ثلاثة أعـوام، وتـعـرفت على منصـور فى إحـدى الضـيافات. كانت والدته تلمز بالحديث : «هل الديكور يدرس ؟» بينما كان منصور هادئا صامتا. إنه لا يحب المعارف الجديدة، كان خروجنا فى أضيق الحدود وداخل نطاق الزيارات العائلية، بينما كنت على العكس منه تماماً وأعتبر أن مثل هذه الزيارات نمطية تجلب الملل.

مرت الأيام الأولى بعد استقلالنا على نحو طيب، كنت أتسوق فى أوقات الصباح بعد خروج منصور، وفى أيام الأحد والثلاثاء والخميس أقف فى الطابور مع الجارات لشراء اللبن من دكان على أقا الذى يبعد عن منزلنا بشارع واحد، ورويداً رويداً تعرفت عليهن.

كنت أشترى الخضروات الطازجة من دكان أكبر أقا، ولما كنت أتمتع بطول البال ولدى الوقت الكافى، كنت أجلس وأقوم بتنظيف الخضروات وغسلها وتقطيعها وتشويحها ثم تقسيمها ووضعها فى فريزر الثلاجة، كنت أقوم كذلك بكنس المنزل وتنظيفه، فكان «جحر الفئران» يبرق دوماً.

كان منصور يتسم بالصبر والهدوء، ولا يتدخل فى مثل هذه

الأمـور، لكننى كنت أشك قليـلاً، وأستـاء من عدم اهـتمـامـه بما أقوم به، لكننى لم أتـأثر كثيراً بذلك الأمر.

كنت أطهـو الطعـام وأعـد المائدة وأنا فـى كـامـل سـعـادتى، وحـينمـا يأتى منصـور إلى المنزل وقت الظهـيـرة، كـانت رائحـة الطعـام تفـوح وتطوى درجـات السلم التى يصـعـدها واحـدة تلو الأخرى.

كـانت صـاحـبـة المنزل تقيم فى الطابق السـفـلى، هـى امـرأة تتمتع بالهدوء ولا تحب الاختلاط، كـانت مشغولة طوال الأسبوع إما بالذهـاب إلى مـجـالس خـتم القرآن، أو بإيفـاء النذور وإعداد موائد الطعام.

وفى أوقـات العـصـر كنت أتجـول فى مـحـال المدينة أو فى مـعـارضـهـا، أقف خلف الواجـهـات الزجـاجـيـة، أتفـحـص قيمـة البـضـائـع : الحذاء الكتـان الكورى بـألف وتسـعـمـائة طومـان[1]، الإيشـارب الهندى المزركش بثـمـانمـائة طومـان ومشـبك الشـعـر اليابانى بخمسمائة طومان...

وفى أحـد أيام الثـلاثـاء تعـرفت على مـريم فى طابور اللبن، كانت طويلة القـامة، نحيفـة، سوداء العين، وخمرية البشـرة، كانت

على العكس منى، فبينما أسير أنا في عجالة، كانت تتبختر فى سيرها. هذا الاختلاف، وكذلك زجاجة اللبن جعلا كلاً منا تتعرف على الأخرى فحينما يحل الدور على مريم يكون اللبن قد نفد، فأخرج زجاجة من سلتى وأقدمها إليها، ترفض فى البداية، وحينما أصر تقبلها. كان زوجها أحمد مريضاً يحتاج إلى زجاجة اللبن تلك، هذا ما قالته لى من بعد.

كنا نتجاذب أطراف الحديث حتى نقترب من المنزل، ولاحظت أن منزلها الذى أشارت إليه تواجه نافذته نافذة منزلنا. كنت أقول لها «تمنيت منذ اليوم الأول لمجيئى هنا أن أتعرف على من تعيش فى هذا المنزل» !

وكانت تنظر إلىّ وتقول : «إن الأمنيات الطيبة الصغيرة سرعان ما تتحقق» ونضحك معاً ونرى فى نظراتنا براءة الطفولة.

وبعد شهرين أصبحنا صديقتين حميمتين، كنا نتقابل كل يوم تقريباً، كانت متزوجة منذ سبعة أعوام، إلا أنها لم تنجب حتى الآن، وشعرت للمرة الأولى بالمرارة والألم فى حديثها ونظراتها وهى تقول : «أحمد يعشق الأطفال، ودائماً يلتف أطفال الأسرة

حوله ويتعلقون به أثناء الضيافات» وهذا ما كان يضاعف من ألمها وحزنها.

أحياناً كانت تلوح بيديها وتدعونى إلى منزلها وهى تقف خلف النافذة، كنت أجلس معها، نستعيد ذكريات الطفولة بحلوها ومرها، والعجيب أن ذكرياتنا كانت متماثلة كمنزلنا ونوافذنا. كانت مريم تحب اللون الأخضر، وكان أمام نافذة كل منا شجرة من نوع «النارون»[٢] يكسوها اللون الأخضر. كانت مريم تجلس فى مواجهة النافذة فى كل مرة تزورنى فيها. لو شاهدنا شخص دون أن يعلم مدى هذه الصداقة لتخيل أنها تمتد منذ عشرين عاماً. كانت مشاعرنا صافية أحياناً كنت أتخيل أن ثمة علاقة قربى تربط بينى وبينها.

لقد حاكت مفرشاً جميلاً وأحضرته لى، كان عليه صورة تمثل السماء الزرقاء وحمامة بيضاء فى أعلى، وأسفله بحر أخضر هادئ، قامت بحياكته وتطريزه وأبدت فيه من الذوق والفن والصبر الكثير، مثلما أبدى أنا فى تنظيف الخضروات وإعداد المائدة.

فى نفس اليوم ذكرت لى بعض ذكرياتها عن مرحلة الطفولة

حين أهداها والدها دمية ذات عيون زرقاء، ولأن مريم كانت تعشق البحر فقد أطلقت على دميتها اسم «دريا»[٣] وذات يوم حدثت مشاجرة بينها وبين أختها مينا، وسقطت دريا وكسرت إحدى عينيها. وحينما نظرت إليها عندئذ لمست نفس المرارة على وجهها، ومنذ ذلك اليوم لم نتحدث ثانية عن دريا، ويوماً بعد يوم أضمر منصور الغيرة تجاه مريم لكثرة حديثى معها داخل المنزل.

وفى أحد الأسابيع شعرت بألم فى بطنى خاصة فى أوقات الصباح، وكانت رائحة الشامبو ومعجون الأسنان اللذين يستخدمهما منصور مما يثير استيائى، كان يتملكنى القلق عندما أنظر إلى نفسى فى المرآة، لقد شحب لونى ونحف جسدى.

حينما خرجنا من عيادة الطبيب كان المطر يهطل بغزارة. كنت أبكى طوال الطريق، لم تتوقف قطرات المطر وكذلك دموعى، قال منصور فى دهشة : «هذه أمنية كل امرأة ...» ولم أجبه وحينما وصلنا إلى المنزل، جلست خلف النافذة أمام شجرة النارون، وجعلت أبكى، وتحدث منصور هاتفياً مع الطبيب، فقال

له : «إنه اكتئاب فترة الحمل» فارتاح باله، ولم يقم بأى عمل أمام بكائى.

مضت عدة أيام لم نر فيها مريم ولم أتحدث عنها، اعتقد منصور أن بيننا جفوة فسعد فى قرارة نفسه، كنت أفهم ذلك وألزم الصمت.

فى هذه الأيام كنت ألزم مخدعى حتى الظهيرة، نادراً ما كنت أخرج للتسوق، كنت أحاول ألا أتقابل مع مريم، وهذا ما حدث. لم يعد «جحر الفئران» يبرق كسابق عهده، قل اهتمامى به، كانت أطباق الظهيرة تظل حتى المساء، وأطباق المساء تظل حتى الصباح داخل الحوض دون تنظيف، ولم يبد منصور أى تبرم، بل كان يقوم بغسلها فى بعض الأحيان.

وفى أوقات الغروب فى فصل الخريف الأخاذ الجميل، كانت أصوات جميع من فى الحى مألوفة على مسامعى، كنت أعرف الجميع، كنت أسمع أصوات دعابات الأطفال وشجارهم وتصالحهم. ترى أين مريم الآن ؟ كنت أسمع صوت سيارة أحمد الرينو تحدث صوتاً عالياً ثم تقف، ويعلو صوت الفرامل ويغلق المحرك. كنت أعلم أن مريم تقف الآن وراء النافذة.

ويوماً بعد يوم بدأت صحتي في التحسن، وصرت أكثر ميلاً إلى تناول الطعام على عكس الشهور الأولى، وبدأ حجم بطني يزداد، أحياناً كان الجنين يتحرك خلسة داخل أحشائي، وانقطع تنقلي مع مريم، كنت أتذرع في كل مرة بحجة ما، ويرن جرس الباب فأطل من النافذة وإذا بمريم تقف خلف الباب، لا أفتح الباب، فتمضي، أجلس بجوار النافذة وأبكي.

كانت تمر أيام عديدة دون أن أغادر المنزل، وأسدلت ستائر النوافذ جميعها، لا أرى السماء الزرقاء عالياً مرة أخرى، ولا الأرض الخضراء المنخفضة، ولا العصافير ولا مريم، لكنني كنت أرى ظلها كل صباح من وراء الستار وهي تشير إليَّ بيديها وتدعوني إلى منزلها، فيتأثر قلبي وأحاول نسيانها.

كانت تلاحقني ذكرى حية عن صداقتنا في كل مكان تطؤه قدماي بالمنزل، ربما لو كان هذا المنزل مائة وستين متراً لانمحى صوت الذكريات سريعاً وخرج من النوافذ وضاع بين جلبة الأطفال وصياحهم. لكن هذا المنزل الصغير يحتفظ بالذكريات بداخله. أزيح الستار في هدوء، فإذا بأوراق شجرة النارون قد فقدت لونها الأخضر الذي كان لها في السابق، واختنقت أوراقها رويداً رويداً،

لا صوت لها، تشع جمالاً وحزناً فى آن واحد، استسلمت أوراقها فى صمت، حيث أيقنت أن الفصل يتبدل.

وبدأ الألم فى منتصف إحدى الليالى، وأوصلنى منصور إلى المستشفى وهو فى حالة من القلق، وظللت حتى بزوغ الفجر بين النوم واليقظة أتحمل الآلام وأصيح مستغيثة بالله وفى لحظات السكون بين طلقة الوضع والأخرى ترنو النجوم من النافذة، وأتذكر : «إن الأمنيات الطيبة الصغيرة سرعان ما تتحقق» أبتسم، يتضاعف الألم، أضرب بقبضتى على الحائط وما من مجيب. وفى الظهيرة أنجبت طفلة، سميتها غزال، وتملكنى شعور غريب وجديد.

فى الليلة الأولى التى مكثت فيها فى المنزل مع غزال كانت الستائر لا تزال منسدلة، ووضع منصور ثلاث أزهار من مريم فى الزهرية المجاورة للسرير، ومددت جسدى تحت شجرة ضخمة وسط المستشفى، أغطى جسدى حتى الأكتاف بملحفة زرقاء اللون وغزال بجوارى تلوح بيديها الرقيقة فى الهواء، ووقف منصور بجوار السرير وفى يده ثلاث أزهار من مريم وهو يبتسم، وتتقدم يدا امرأة شابة أنظر إليها فى خشية، إنها تريد

غـزال، ضـمـمت الطفلة بين ضلوعـى، أمـعن النظر إليـهـا حـتى أضناني التـعب. تتحرك الطفلة فى نومها دون أن تستيقظ، تميل هذه المرة نحو سريرى، تمد يديها إلى الأمام، تتعالى صيحاتى، تسـقط أزهار مـريم من يد منصـور، تتـوارى غـزال، أعض على شـفتـى، يأخذنى البكاء. ينظر منصور إلى وإلى غزال وهو فزع مضطرب، يتصبب العرق من جبيني، يخفق قلبى بشدة، أزيح السـتـار جـانبـاً، ويقـع نظرى على النافذة المجـاورة، كـان المنزل خـالياً لا يعيش فيه أى شـخص، وكـأن مـا من شـخص عـاش قط فى ذلك المنزل.

هوامش:

(١) يعادل الطومان الإيرانى عشرة قروش مصرية تقريباً وهو وحدة العملة الإيرانية.

(٢) هى شجرة ظليلة كثيرة الأوراق، ويطلق هذا الاسم على شجرة الدردار أو الكريز أو الرمان.

(٣) دريا هو الاسم الفارسي لكلمة البحر.

الطائر

فريده خردمند

جاءت فى الظلام الدامس، وحينما اقتربت وقفت وسألتنى : أتصعدين ؟ كان سؤالاً في غير محله، فمن المؤكد أننى كنت سأقوم بهذا العمل. أجبتها : نعم. فسألتنى على الفور : يمكن أن أرافقك حتى الصباح ؟ فأجبتها بالإثبات، لقد لجأت إلىّ دون أن أعرف السبب. سلكنا الطريق معاً، لم أتمكن من رؤية وجهها لكنها تمتعت بصوت أنثوى حزين، قالت : أخاف من الظلام، قلت : لكن لا أحد هنا يخاف من شىء قط. لقد قالت سبب خوفها وصرحت به فى بساطة شديدة، فقد ضايقوها فى نفس المكان منذ فترة، وندمت على حكمى المتسرع، لقد وثقت فىّ ووثقت فيها دون لحظة تردد.

منذ أعوام لم يتحدث معى شخص قط على هذا النحو، لم أر

وجهها حتى الآن، إلا أنها كانت تتحدث بشكل جاد فى هدوء، كانت تجيب عن استفساراتى بتأن، إلا أنها لم تستفسر عن شىء.

وبدأ نور الصباح فى البزوغ تدريجياً، وللآن لم أكن قد رأيت وجهها، لكم خضت فى الحديث حتى لا أفكر فى النظر إليها وبعد ساعة من سيرنا أشرق الصباح.

وصلنا إلى قمة الجبل، كان ضياء الشمس ينتشر على صدر الجبل، كنا نتلاقى فى ظلال الجبال، ألم بها التعب، فجلست فوق إحدى الأحجار تنظر فى اندهاش إلى المنظر المواجه لها : جريان النهر بين الأشجار، نظرت إليها للمرة الأولى فقط على سبيل الفضول، كانت شابة، حسناء وسيمة، كان النهر يجرى صاخباً، وما إن تحدثت حتى التقطت أنفاسها.

سلكنا الطريق ثانية، كانت أنفاسها هادئة منتظمة تماماً كأقدامها، قلت لها : أحياناً أنظم الشعر، وقرأت بعضا من أشعارى، أصغت إلىَّ دون أن تتفوه بكلمة، قلت : أحياناً أصاب بالاكتئاب وأفقد الأمل فى الحياة، كما أننى لم أتزوج بعد، وقلت أيضا : إننى أقمت فترة فى إحدى المصحات فقالت لى : من

فضلك، ألقى شعرك ثانية.

فألقيته وأصغت إلىَّ، ولزم كل منا الصمت لفترة.

أحياناً كانت تقف فجأة، كانت تقف وقتما تسمع صوت تغريد الطائر، اقتربنا من قمة الجبل، وأبطأت من خطواتى، كنت أتحدث بينما هى تنصت لى، إلا أنها تحدثت مرة واحدة فقط، قالت : تعلمين ؟ أحياناً أتخيل أن الطائر يغرد لى فقط. ورأيت ابتسامتها للمرة الأولى.

وصلنا إلى مقرنا، جلست فى أحد الأركان، بينما جلست أنا بعيدة قليلاً تحت أشعة الشمس الدافئة، لا أعلم كم من الوقت مضى، فتحت عينى على صوتها، قالت : أريد أن أودعك؛ فحركت رأسى، ومضت .

كانت تسير عبر الطريق الجبلى الضيق المملوء بالمنحنيات والتعرجات، ظللت أراقب سيرها حتى اختفت، واستيقظت من نومى على إثر حرارة الظهيرة، كان المنظر بديعاً على مدى نظرى، هبطت الجبل بهدوء دون تسرع، وحينما نزلت، رأيت جماعة تحتشد بجانب مجرى النهر، انحرفت عن طريقى وتوجهت إليهم، فإذا بطائر يغرد على مقربة منا، وامرأة قد

ارتطمت بالأرض، سلكت طريقى، تقدمت، نظرت، فإذا بشابة حسناء وسيمة تقول : تعلمين ؟ أحياناً أتخيل أن الطائر يغرد لى فقط.

لعبة الحياة

فريده خردمند

نظرت فى عينيه وأنا حائرة، وقلت : لن تكون رفيق منتصف الطريق.

واستمر مضطراً، كان واضحاً أنه قد وهن، وربما لم يكن يرى سبباً للاستمرار، أما أنا فكانت لدى رغبة مجنونة فى مداومة الطريق لا أعلم من بدأ اللعبة ؟

هو أم أنا ؟

أحياناً أتخيل أنه لو كان يعلم منافسه من قبل لما اشترك فى هذه اللعبة الخطرة، أحياناً أخرى أتخيل أنه لم يعلم حتى النهاية أنه قد اشترك فى هذه اللعبة.

كان يظهر اللين فى البداية، لكن سرعان ما اتسمت نظرته بالعداء، لقد شعر وهو فى منتصف الطريق أنه سيكون الخاسر،

فقرر الرحيل، لكننى نظرت إلى عينيه فى حيرة، وقلت : لن تكون رفـيق منتـصف الطريق. كنت أعلم أن مـا من طريق أمـامـه للهروب.

نحن الآن بين منحنيات الطريق وسط الجبال، لم نتمكن من الرؤية أمامنا أكثر من عدة أقدام، كان الضباب الكثيف يكسو المكان بأكمله، ما من شخص هنا، حتى الطائر الذى كنت أتخيل إمكانية مروره بين الجبال، كان المنحدر على الجهة اليمنى منا، وهو يمضى بجواره، بدت نظرته وكأنه يلتمس عدم الاستمرار إلا أن الرغبة فى استمرار اللعبة كانت تزداد بداخلى فى كل لحظة. كان ينكس رأسه ولم تتلاق نظراتنا سوى ثلاث مرات فقط، وفى المرة الأخيرة كانت فى نظرته رغبة ما أدركتها بسهولة، يريد أن يقول : اسمحى لى بالانصراف.

لم تكن الحاجة ماسة إلى الاستئذان، فما كان ينبغى القيام به هو القيام بتوديعى فى منتصف الطريق والعودة، وعلى هذا تنتهى اللعبة. لكنها - على النحو الذى أكملتها به - كان لها نهاية أخرى.

كلما ارتفعنا تصير المنحدرات أكثر عمقاً والضباب أكثر

كثافة، كانت معاناة اللعبة عجيبة وعلى نحو لم يتوقع قط، أحياناً كنت أحدثه وكأننى أعرفه منذ أعوام طوال.

نظرت ثانية إلى عينيه البراقة المنداة، أعترف أن جنون هذه اللعبة الخطرة قد تملك كل كيانى.

وقف أمام المنحدر، ينظر فى دهشة إلى الوديان المفعمة بالضباب، لم أكن أعلم ما الذى كان يفكر فيه آنذاك، فى ذلك اليوم، شهدت الجبال يوماً من أجمل أيام الشتاء.

كنا نتقدم فى صمت شديد وهو يمر بجوار الوادى فى هدوء، وانعدمت الرغبة لدى فى العبور من حافة المنحدر، لم يكن هذا جبناً منى، فكم من مرة زهوت فيها بنفسى وأنا فى أكثر منحدرات العالم عمقاً، لا، لم يكن جبناً منى، إننى كنت أعلم فقط أن زمن لعبة العبور من حافة المنحدر يستغرق أعواماً، فهذه اللعبة لم تثر الاضطراب بداخلى، بل تبدو من وجهة نظرى من قبيل الاستعراض.

كنت أكثر عشقاً للعبة الحياة التى أنا فيها الآن ففى هذه اللعبة لا وجود للفائز الذى يرفعون يديه كى يبتسم للمشاهدين فى خيلاء، ولا وجود للخاسر الذى يتوجه إلى المشاهدين فى تخاذل، لأن

مشاهدى هذه اللعبة هم اللاعبون أنفسهم. أدرك جيداً أننى لو قمت بشرح لعبة الحياة إلى أى شخص فلن يفهمها.

كان هواء الجبل يضغط على قلبى بكل ما فيه من طراوة ونقاء، كان نبضى أسرع من المعتاد، لكن من القواعد الثابتة فى هذه اللعبة وجوب الاستمرار حتى اللحظات الأخيرة مثلما يحدث عند السير فوق الخط الحديدى، حيث يسير القطار مسرعاً، وتعلم أنه لن يتوقف، ويطلق صافرته، ويقترب لحظة بعد لحظة، عندئذ تتملكنى رغبة قوية للبقاء فوق الخط الحديدى.

لقد رأيت هذه اللعبة مراراً فى منامى، إلا أننى رأيت مناماً أكثر غرابة ليلة أمس، إنه السقوط، بقائى بين السماء والأرض، لم يتملكني الخوف من شىء، بل كنت أبتسم، ثم سمعت صوت صياح، كان الضباب الكثيف يكسو المكان بأكمله، لم يُر أحد، ويقل الصياح رويداً رويداً.

ونسيت منافسى لفترة، وأفاقنى صوت غراب، وعادت ضربات قلبى إلى حالتها الطبيعية، وخرج الغراب من بين الضباب بصيحة خافتة واستقر على الأرض ينظر إلينا، أدرت رأسى كى أسأله عن رأيه بشأن الغراب، فلم أجد له أثراً.

قصة بلا عنوان

فريده خردمند

الساعة الآن الثامنة والنصف صباحاً، أجلس على مائدة العمل الخاصة بى، كانت الأوراق البيضاء تحفزنى على الكتابة، بدأت قصة ليس لها عنوان إلى الآن، جعلت أكتب، وأشطب، وأتوقف فى نهاية الجملة، إنه التردد، أختلف أنا والجملة، أشطبها، أكتب من جديد، وتُترك الجملة غير تامة.

لا، لن أغيرها، يجب أن أصل بها إلى النهاية، أتأثر ... أثور، إننى أحب بداية الجملة، أقرأها مرات ومرات بصوت عال :

كان فى صوته رغبة فى ...

وكأن الجملة تصر على ألا تنتهى. يرن جرس الهاتف، أمضى إليه، أرفع السماعة، «نعم»، فيقول رجل بصوت هادئ : أيمكننى التحدث معك ؟.

لا أتمكن من معرفة الصوت، فأقول : من أنت ؟

يرد: إنسان مثلك.

وتحضرنى الجملة التى تراود ذهنى، وينطق بها لسانى على الفور :

– لكن العاطل ...

أضع السماعة، أعود إلى المائدة، هى نفس المائدة التى يأكل عليها ستة أشخاص، وقد أطلق زوجى عليها «مائدة أكل الكتب» لكثرة ما يفترش عليها من دفاتر وكتب وأوراق.

وأكرر الجملة مرة، مرتين، ثلاث مرات، تقاومنى الجملة، أغضب، ثم أنهض فى النهاية. أتجه نحو المطبخ وأصب كوباً من الشاى الثقيل، أقف خلف النافذة على أمل العثور على نهاية الجملة، أمسح بيدى فوق الزجاج، أزيل من عليه بخار الماء، أرى الشارع، الأمطار تهطل بغزارة، وها هو السيد جواد ينزل الخضروات الطازجة المنداة من عربة نقل صغيرة صفراء اللون، كنت أتذكر بينى وبين نفسى : لم كانت فروغ تحب شد ضفائر ابنة السيد جواد ؟ ولا أجد رداً.

لقد نسيت بعض الشعر، ولم أذكر كذلك اسمه، عدت إلى

الحجرة وفى يدى كوب الشاى وأنا حائرة، أجلس على المائدة وإذا بالكلمات تجادلنى فوق الأوراق البيضاء :

– لا تستطيعين العثور على النهاية.

– أستطيع.

– لا، لا تستطيعين.

– قلت أستطيع.

لا أنظر إليها ثانية، أرفع رأسى إلى أعلى، تقع عيناى على سقف الحجرة المرتفع، لقد كان خريف هذا العام مفعماً بالأحداث، أنظر إلى أوراق الشجر الذابلة، فلها ذكرى طيبة لدى : فمنذ أعوام غرس أبى غصنين بجوار الحائط الأسمنتى، وسرعان ما جف الغصن الذى على الجهة اليمنى، كان والدى يقول إن جذره اصطدم بحجر، أما الذى على الجهة اليسرى فكان ينمو يوماً بعد يوم، وتغطى أوراقه الآن سطح الحائط الأسمنتى كله.

كان الغراب يأتى ويقبع فوق شجرة الصنوبر القديمة وينعق، كان له جسد قبيح يتناسب مع صوته، أتجه ناحية النافذة، أتذكر يوماً تسلقت فيه الجدار وقطفت ثمار الكاكا، ومثل كل عام، كان

أبناء أخي يشاهدون العمة من نافذة الطابق الثالث تتسلق الجدار كالأطفال وتقطف ثمار الكاكا الناضجة، أذكر أنني تركت بعض الثمار على أغصان الشجرة في هذا العام من أجل العصافير الجوعى.

كنت أحب أيام الطفولة، والجرى فوق السور، وخطف العصا الرفيعة من حصير الجيران وشد ضفائر ابنة السيد جواد. أضحك على هذه الأيام التى كان الدمع فيها حقيقة والغضب جاداً، تلك الأيام التى تشعر فيها أن الحياة صغيرة وأنت تهرول وراءها، وحين تكبر تفهم أنك كنت تسعى وراء شيء تجهل اسمه، تسعى أعواماً تقتفي أثره، وأبي كذلك كان يقتفي أثره، وإلا لما قضوا معظم حياتهم بين دهاليز المحاكم. إننى أرى الملاك المرمرى يقف والميزان فى يده.

أخرج من ذكرياتي على صوت جرس الهاتف، أرد : نعم. إنه نفس الصوت، يقول : أنت آخر من يسمع صوتى، فالتزمت الصمت وترددت، يقول : من فضلك ..، أضع السماعة، لكن سرعان ما أندم، أرفعها ثانية، فلا أسمع سوى صوت البوق الممتد. أقف وسط الغرفة وجهى تجاه النافذة، حقاً، ما الذى

قاله ؟ أيعرفنى أم لا ؟ ويسلبنى تأنيب الضمير راحتى، لكن الصوت غير مألوف لدى، أغريب هو أم قريب ؟ ما الفرق؟ لا أعلم.

ويقع نظرى على المائدة وأتذكر الجملة الناقصة، أمضى تجاه المائدة، أحاول أن أقنع نفسى أن ما حدث مجرد معاكسة تليفونية. أجلس، أقرأ الجملة :

كان فى صوته رغبة فى ...

أعتقد أن الكلمات صارت أكثر ليونة وعذوبة، فلم تعد تجادلنى، وكأنها فى انتظار النهاية، أحاول العثور على جملة أخرى أكثر عذوبة، ومرة أخرى يدوى صوت الهاتف فى الفضاء الساكن، أقفز من فوق المقعد، كدت أن أقع غير أننى استعدت توازنى وأنا أسير على قدم واحدة، بالتأكيد إنه نفس الصوت، إذن لم يحدث مكروه حتى الآن :

– نعم.

– سلام.

إنه زوجى

– سلام

– من فضلك رتبى مائدة أكل الكتب، لدينا اليوم ضيوف.

وبينما أقوم بجمع الكتب والأوراق، أفكر فى الجملة غير التامة وفى القصة التى بلا عنوان.

يوم العطلة الأول

فريده خردمند

كنا فى حديقة كبيرة خارج المدينة، كان يتصل بها مبنى قديم، وها نحن قد وصلنا تواً، مضت ساعة. إنه اليوم الأول فى العطلة، كان من المقرر أن نمكث فى ذلك المكان عدة أيام، رافقتنا خالتى الحبيبة حشمت وزوجها وابنتاها، كانت بروين من نفس عمرى، أما بروانه فكانت من عمر أختى، كنا أنا وبروين فى العاشرة، وأختى وبروانه فى الثانية عشرة.

كان الكبار ينقلون المتاع والأثاث داخل المبنى القديم، أما نحن الصغار فقد اتفقنا على أن نلعب الاستغماية، أجرينا القرعة، وحل الدور على بروانه كى تغطى عينيها، ١، ٢، ٣، ثم جرينا كى نختبئ، لا أعلم لم أخفيت نفسى خلف أشجار الشمشاد[1]، فقد كان هذا المكان أبعد من أى مكان آخر.

عدت بروانه من ١ : ١٠ ثم مضت، وسرعان ما عثرت على بروين، فقد كانت تخفى نفسها ببلاهة خلف شتلة من الزهور، أسرعنا نحو الحائط، وضعت بروانه يديها عليه، فاحترقت بروين.

كانت أختى تخفى نفسها خلف جدار منخفض غير مكتمل البناء، تقدمت بروين عدة خطوات، فرأتها، تخيلت فى البداية أنها رأتنى، كنا أنا وأختى كالتوأم، خرجت أختى من خلف الجدار المنخفض، كلتاهما تجرى، وهذه المرة أيضاً سرعان ما وضعت بروانه يديها على الحائط، واحترقت أختى، وبقيت بمفردى.

كانت بروانه تراقب حركة كل شىء، حتى طيران الذباب، تسير ببطء كاللصوص، كنت أنظر إليها وأنا بين أوراق الأشجار، سارت خلف أشجار الكريز والجوز، خلف شتلات الأزهار، خلف الجدران العالية والمنخفضة بالحديقة، وكذلك خلف أشجار الشمشاد، إلا أننى لم أتواجد فى أى مكان قط !!

بعد ذلك توجهت إلى مبنى الحديقة القديم، دارت حوله، صعدت درجات السلم، دخلت المبنى ثم خرجت منه وهى فى حالة من الذهول والحيرة، تقدمت وهى تشبه تماماً من يسيرون

أثناء نومهم، جعلت تنظر هنا وهناك، كلما تقدمت يتهيأ لى أنها تنظر إلى عينى، قلت فى نفسى :

انتهى الأمر، لقد عثرت علىَّ، وخرجت من خلف الأوراق، لكنها لم ترنى، لم أصدق أن القانون الطبيعى لهذه اللعبة القديمة قد بلغ هذا الحد من الاضطراب، أرهقها التعب، وقفت تصيح :

- انتهت اللعبة، هيا اخرجى.

لكن مضت فترة حتى خرجت من مخبئى الأخضر، كانت الشمس قد توهجت فى السماء لدرجة أن ضياءها كان يؤذى عينى، وبروانه تتعرض للشمس، ومالت بشرتها إلى السواد، لم أكن أفهم كيف لا ترانى؟!

مضى الأطفال تجاه مبنى الحديقة القديم، ثم خرجوا منه بصحبة الكبار، لا شك أنهم قصوا عليهم كل شىء، فقد بدت أمى قلقة مضطربة رغم تمتعها بالتماسك، أما أبى فجعل ينظر هنا وهناك بعينيه الزرقاوين كالبحر فى غضبه ويدخن السيجار، وزوج خالتى حشمت يمسك بلحيته المتوسطة الحجم ويفكر، يرفع رأسه أحياناً ويهمس بشىء ما. لا شك أنه كان يتخيل أننى اختفيت وينادى علىَّ الآن بذلك الهمس. وخالتى الحبيبة حشمت

ذات الوجه النورانى تسير بجوار مجرى النهر بينما تنهمر الدموع من عينيها، لا شك أنها كانت تتوهم أنها قد تعثر علىً داخل هذا المجرى.

لكننى لم أكن فى أى مكان، وإلى الآن لا أستطيع أن أصدق أننى فى ذلك اليوم – اليوم الأول للعطلة – قد ضللت طريقى بمثل هذه الهيئة داخل الحديقة.

هامش

(١) شمشاد : شجرة العوسج، شجرة البقس، أو أية شجرة مستقيمة.

تجاه ذلك الشارع

فريده خردمند

لم يتبق على منتصف الليل سوى دقائق قليلة، ثمة رجل مستغرق فى النوم وسط الظلام خلف صحيفة يغطى بها وجهه، وامرأة تهبط درجات السلم حيث يجب أن تخرج كيس القمامة - كالمعتاد كل ليلة - من المنزل رغم كل ما تشعر به من تعب، كانت تهبط الدرجة الأخيرة، وكسر صوت الباب الحديدى سكون منتصف الليل، نالت منها شدة برودة الجو، وفى ذلك الشارع يتدفق نور بلا انقطاع من أعلى السقف الأسمنتى على جوانب الأرض. سرعان ما وصلت عربة نقل القمامة، كانت المرأة تسند كيس القمامة الأسود على شجرة السنار وفجأة وقع نظرها على ذلك الشارع.

ثمة رجل عجوز يجلس ساكناً على الأرض دون حركة وقد

امتزجت ذرات النور الصفراء به فبدا كالقديس.

ظلت المرأة تنظر إليه في دهشة وحيرة، ثم ما لبثت أن شعرت ببرودة الجو على عكس ما كان داخل المنزل، ارتعدت، دخلت المنزل وأغلقت الباب، توجهت مباشرة نحو المطبخ ووقفت أمام النافذة، لا يزال ذلك الرجل العجوز في ذلك المكان.

ودفعة واحدة مرت فكرة عابرة في خاطرها، توجهت مسرعة إلى المخزن، أشعلت المصباح، كان المخزن صغيراً لكنه كان منظماً، لفت انتباهها بالطو بنى اللون، فأخذته من الشماعة، انحنت، أخذت بوتاً أسود اللون كان ملك زوجها، كان البوت كبيراً وثقيلاً، أخذت نفساً عميقاً، وأطفأت المصباح، توجهت إلى غرفة الأطفال، وأخرجت حقيبة صغيرة من تحت السرير، فتحتها، أخرجت من داخلها دمية صغيرة، ثم وضعت بمشقة بالغة البالطو والبوت بداخلها. ونظرت هذه المرة من نافذة غرفة الأطفال تجاه ذلك الشارع، لا يزال الرجل العجوز في مكانه.

فتحت باب الشقة، الحقيبة صغيرة لكنها ثقيلة، هبطت درجات السلم، عندما بلغت الدرجة الأخيرة أخذت نفساً عميقاً ثم فتحت الباب الحديدي.

كان الرجل العجوز يجلس وسط هالة من النور، عبرت المرأة، وما إن وضعت قدميها فى الشارع حتى أوقفها ضوء مصباح إحدى السيارات، إنها «دورية الليل»، يجلس شرطيان فى السيارة، أحدهما بجوار السائق وكان ضخم البنية، وقد التفت إلى المرأة وقال :

– إلى أين ؟

وتشير إليه فى اتجاه الشارع ويداها ترتعدان، نظر الشرطيان إلى ما أشارت إليه ثم إلى الحقيبة التى فى يدها، ترتعد المرأة وهى تقول :

«هذه ... هذه الحقيبة من أجل ....»

وينظر الشرطيان ثانية تجاه ذلك الشارع، تقول المرأة فى ارتباك :

« ... من أجل ... من أجله ....».

ويخرج الشرطى المجاور للسائق من السيارة، ويذهب تجاه ذلك الشارع، وينظر ثم يعود. كما جعل السائق يحرك رأسه يميناً ويساراً متفحصاً، وتعبر المرأة الشارع دون أن تنطق بحرف وكأنها تسير فى نومها، تقف، تنظر فى دهشة، لا يوجد فى ذلك الشارع سوى ظلال الأشجار ولا شىء آخر سواها.

مسافر الليل

فريده خردمند

تم التـوقف قليـلاً أثناء الطريق، المسـافرون يـجلسـون حـول مـائدة كـبـيـرة فـى المقـهى، جـمـيـعـهم يرتعـد من كـثـرة التـعب والإرهاق، لم يكن يروق لهم ذلك المقهى، وقف السائق على حافة البـاب وأشـار إليـهم بالتـحـرك، جذبوا المقـاعـد إلى الخلف قليـلاً حيث وجب الرحيل. كـان الجو بالخـارج بارداً مـعـتمـاً، الأمطار تهطل بـغزارة، يندفع مسـافرو الليل، تجـمـعت مـيـاه الأمطار فـى المناطق المنـخـفضـة، تنزلق أقدامـهم فى الحـفـر، ويسـتـمـر هطول المطر، دنت المحطة، إنهـا تحـوى سـبـع سيـارات لنقل الركاب تنير مصابيحها.

صعدت امرأة السلم مع المسافرين، تأذت عيناها من الضوء الأحمر للمصابيح المعلقة بالسقف، كانت تسير فى ممر السيارة

مستاءة متبرمة، فرائحة العرق النفاذة تفوح من الأجساد والملابس، جلست على مقعد مجاور للنافذة وبجوارها شخص آخر يغط فى نومه لم ينتبه لوجودها، كانت قطرات المطر فى ذلك الليل الحالك تتساقط على زجاج النافذة.

سلك الأتوبيس طريقه، كان رذاذ المطر الأسود ينسال على زجاج النافذة حتى حجبت المناظر على الطريق، والمسافرون غرباء صامتون، أغمضت المرأة عينيها، وشق الأتوبيس ظلام الليل الدامس.

رأت أنها تهرول فى فزع وتتعالى صيحاتها، تطوى إحدى الحارات، تقف أمام باب حديدى أخضر اللون، تطرق الباب، لا تسمع صوتاً، كان المنزل هادئاً مظلماً، تطرق الباب مرة أخرى، وإذا بهرة فوق الجدار تنظر إليها، وثبت نحوها، انقضت على وجهها، صاحت المرأة بصوت عال، أخفت وجهها بين يديها وجعلت تجرى.

ما من أحد فى الحارة. أثناء ذلك يلفح شعاع الشمس وجهها من خلف النافذة، وفتحت عينيها، هبط المسافرون سلم السيارة وهم متعبون دون اتزان، وتوقفت السيارة فى موقف السيارات،

وتنزل المرأة – وهى آخر مسافرى الليل – درجات السلم، وتسلك طريقها ويغادر المسافرون الميدان دفعة واحدة.

طوت المرأة إحدى الحارات، لقد مرت أعوام، طوت الحارة كلها حتى النهاية ثم عادت، وقفت أمام باب حديدى أخضر اللون، أخرجت المفتاح من حقيبتها، سقط على الأرض، انحنت وأخذته، لا يدور المفتاح فى قفل الباب، طرقت الباب، سمعت صوت أقدام خلف الباب الحديدى، ينفتح الباب، ثمة شخص غريب يقف على الأعتاب، كان الفناء خاوياً، لا أثر فيه للحديقة الصغيرة، ولا للقيشانى الأزرق فى حوض الماء، ولا للأسماك الملونة، تراجعت خطوة، فإذا بهرة تسير فوق الجدار، تملك المرأة الخوف، وضعت وجهها بين يديها، وأغلق الغريب الباب.

المحطة

طاهره علوى

فى ظلام الليل أشار زوجى بيده من بعيد : «هيا»، حملت الحقيبة، وسارعت نحوه، والقطار يطلق صفيره من خلفنا، ومع كل صوت لهذا الصفير يندفع المسافرون بشكل أكثر، كانت ذرات الحصى تغطى المكان بأكمله، ورغم محاولاتى فى الإسراع إلا أننى كنت أتقدم فى سيرى ببطء.

وأخيراً، وفى اللحظة التى صعدت فيها درجات السلم، وصلت إليه، وضعت الحقيبة، وابتعدت عن السلالم العالية، لكن زوجى لم ينظر إلىَّ ولو نظرة واحدة، كان مستاءً، لِمَ ؟ لا أعلم ربما كان ذلك من أثر الزحام واندفاع الناس، ربما ...

دخل كابينة القطار، أغلق الباب فى عصبية، فوضعت الحقيبة فى أحد الأركان ووقفت عدة دقائق فى مكانى، كانت أضواء

مصابيح المساجد وحجر المحولجية تبدو خافتة فى ظلام الليل الحالك، لا يزال المسافرون يندفعون حتى الآن هنا وهناك دون أن يعرفوا أماكنهم.

ألقيت بنظرى ثانية على كابينة القطار، كان المصباح بداخلها مغلقاً، لقد نام زوجى، إنه يعشق النوم أما أنا فقد أضنانى التعب فذهبت لأنام، دخلت الكابينة دون أن أصدر صوتاً، أغلقت الباب من خلفى، سحبت الستار ثنية وراء أخرى، كان الهواء ملوثاً داخل الكابينة، أردت أن أنزل الزجاج وأسحبه قليلا، فاستاء وهمس بشىء ما، لابد أنه شعر بالبرد، خجلت من نفسى، أخذت البطانية المكورة فى ركن المقعد وأنا أتحسس وأخفيت نفسى تحتها.

إننى أعشق صوت حركة القطار، فهى تشبه هدهدة الطفل، إن الأمر لا يفرق معى إذا ما بقيت يقظة طوال الليل، فما إن أغمض جفونى حتى يأخذنى النوم.

اشتدت الآن حركة القطار إلا أن سرعته كانت تقل شيئاً فشيئاً، نظرت فى الساعة، كانت السادسة والنصف صباحاً، كان زوجى يلف البطانية عليه بإحكام ويحلم بالملوك السبعة،

ذهبت لأغسل وجهى، وحين عدت وجدته قد ارتدى ملابسه ويحاول سحب زجاج النافذة بصعوبة، كما كان قد فتح الباب الذى أوصدته. لكنه ليس زوجى، ارتبكت، اعتذرت على الفور، خرجت من الكابينة، لقد أخطأت فى دخول الكابينة، عدت ثانية إلى الحمام، وجعلت أعد فى هذه المرة بشكل أكثر دقة : «..، ٣ . ٤ . ٥»

كابينتنا هى خامس كابينة بعد الحمام، كان بابها مفتوحاً، لكن الستائر كانت منسدلة، مضيت، سحبت الستار فخرج نفس الرجل من الكابينة دون أن ينظر إلىّ، أدار رأسه هنا وهناك، ونظر تجاه الطرقة، بدا وكأنه يحدث نفسه ثم قال : «أين ذهبت إذن هذه المرأة».

كان القطار يتجه ناحية المحطة شيئاً فشيئاً، وقلبى يتملكه الاضطراب بشدة، لقد ضللت طريقى إلى الكابينة، لكن كيف يمكن هذا ؟!

عدت ثانية إلى الحمام، توجد كابينة المسئول عن القطار بعد صنبور المياه الملاصق لجدار الحمام، وخامس كابينة بعدها هى كابينتنا، كان نفس الرجل واقفاً أمام الباب !!

قلت : «من فضلك» وأزحت الستار برفق، فإذا بحقيبة زوجى فى أحد أركان الكابينة، فهدأ بالى، لابد أنه ذهب إلى الحمام، تملكتنى الدهشة قليلاً، فهو ليس ذلك الرجل الذى يترك حقيبته هكذا !! تقدمت قليلاً، وجلست على أحد المقاعد، فما من عمل لدى سوى انتظاره، ليته يأتى سريعاً.

كانت الطرقة ممتلئة بالمسافرين، الجميع يرغب فى الخروج من القطار أولاً، ولما كان هذا من المحال، كان جدالهم وصوتهم يعلو بين الحين والآخر، ولا يزال الرجل يقف أمام الباب، ويدير رأسه هنا وهناك، ثم توجه ناحيتى دفعة واحدة، وقال :

«من فضلك، ألم تشاهدى زوجتى».

وحينما تقدمت لأرد عليه، أدار رأسه، كان ذلك المسكين قلقاً على زوجته وكنت أنا كذلك قلقة على زوجى. أين ذهب ؟!

لم تعد لى من حيلة سوى أن أنتظر فى القطار، وتوقف القطار، وفتحت أبوابه، واندفع الناس إلى المحطة كأسراب النمل أو الجراد، كانت ساعة المحطة تشير إلى السابعة، والرجل يسير مضطرباً حائراً من هذا الطريق إلى ذاك وهو يقول :

«لِمَ لَمْ تأت ؟ أين ذهبت ؟!»

خرجت من الكابينة، أحاول فتح باب الحمام، إنه مغلق، ومن غير اليسير الآن العثور على مسئول القطار، ماذا يجب أن أفعل؟ ثمة مطعم فى نهاية العربة الثالثة، ربما توجه إليه ليتناول كوباً من الشاى ! لكن باب المطعم كان مغلقاً، وأشار شاب لى بأن المطعم لا يعمل الآن. صحت :

«أبحث عن زوجى ...»

لكنه لم يبال ومضى فى طريقه، وقفت لعدة لحظات فى نفس المكان، كان قلبى يخفق بشدة، عدت إلى الكابينة، لم يكن ذلك الرجل فى الطرقة، لابد أنه عثر على زوجته ومضى، صاح أحد المسئولين فى الخارج وقال :

«ماذا تفعلين هناك أيتها المرأة ؟ هيا، انزلى »

لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك فى القطار، ذهبت إلى الكابينة لأحمل حقيبة زوجى لكن لا أثر لها، أخذت نفساً عميقاً فقد هدأ بالى وارتاح خاطرى واطمأن قلبى لعدم حدوث مكروه له، لابد أنه جاء إلى الكابينة بعد خروجى منها وحمل حقيبته وهو الآن فى انتظارى بالخارج.

خرجت من القطار مسرعة، جعلت أقتفى أثره بين الجميع،

لكن العثـور عليـه وسط هذا الزحـام ليس بـالأمـر الهين، قـررت الانتظار قليـلاً حـتى تخلو المحطة، ذهبت إلى أحـد الأركـان ووقفت، لكننى اضطررت بعد لحظات إلى تبديل مكانى، لكن ما من فائدة، فكل مكان أقف فيه أكون سبباً لزيادة الزحام، فهذا يصطدم بى وذاك يقول :

«ابتعدى قليلاً عن الطريق ...»

وأخيراً، مضيت إلى ركن فى المحطة وجلست فوق الأريكة، بدأت عيناى فى الذبول، وضعت رأسى بين يدى للحظة، وأغلقت عينى، وفجأة هز شخص ساعدى بقوة وهو يقول :

– أين كنت ؟

قفزت من مكانى، فوجدته نفس الرجل الذى فقد زوجته، فقال:

– آسف سيدتى، لقد أخطأت.

ثم حمل الحقيبة ومضى.

الإحصاء

طاهره علوى

أجلس على المقعد، أمسك المشط، أمشط شعرى، إنه أسود كالليل، قصير كالمنام، حينما يبلغ المشط نهاية الشعر أبدأ من جديد، من أعلى إلى أسفل، من الخلف إلى الأمام، مرة، عشر مرات، مائة مرة، فهذه هى أفضل طريقة.

لقد نصحنى الطبيب أن أمشط شعرى كل ليلة مائة مرة بقوة لتنشيط الدورة الدموية ومنع تساقطه لكن معظم شعرى لا يزال يسقط، كم يتملكنى الضيق حينما أضعه صفاً فوق التسريحة وأقوم بعدّه، يقول الطبيب : من الأجدر ألا تقومى بعدّه ما دام يؤلمك . إن عدد الشعر المتساقط يزداد فى كل ليلة عن الليلة السابقة :

– «مائة، مائة وعشر، مائة وعشرون، مائة و ....»

لكننى لا أستطيع الكف عن هذه العادة، يقولون إن عدد الشعر المتساقط ينبئ بما سيكون عليه اليوم، فإذا كان كثيراً كان اليوم عصيباً، وإذا ما مر اليوم عصيباً فبالطبع يزداد عدد الشعر المتساقط.

أرى زوجى فى المرآة وهو يسير تجاه مكتبه، يجلس ويمسك بقلمه، ويضع الأوراق أمامه، إننى أعلم مدى حبه لعمله ! وأنا أيضاً أحبه للغاية، لكننى لست واثقة من علمه بذلك، أفتح شفتىَّ كى أصرح بهذا الحب، فيتلعثم صوتى فى حلقى ولا يخرج، ربما حتى لو خرج لن يسمعه زوجى. جربت مرة أخرى، أفتح فمى، لكن سرعان ما يتملكنى الخجل و أستأنف تمشيط شعرى :

– «مائة وعشرون، مائة وثلاثون، مائة و ....»

يوجد سبعة وثمانون أو ربما ثمانية وسبعون سبباً لسقوط الشعر، يقولون إن أهمها : نقص الغذاء، الأمراض الميكروبية، والإنقاص المفاجئ فى الوزن والأرق العصبى لكننى أتسم بالهدوء وهذا ما يردده زوجى.

إننى أعلم تماماً أن عمله يستلزم الهدوء، يجب أن يكون المنزل هادئاً وكذلك الزوجة.

إن الشعر يتساقط بشكل طبيعي بمعدل ستين إلى مائة شعرة يومياً، وينصح الأطباء بضرورة تناول الطعام بشكل جيد وأخذ قسط كاف من النوم، ولكى أخلد إلى النوم أقوم أولاً بعد النجوم : «١، ٢، ٣، ....» ثم يقع نظرى على التسريحة التى يصطف شعرى فوقها، فأستمر فى العد : «٤، ٥، ٦، ....».

قالت إحدى صديقاتي لى أول أمس :

«أنت عملت فى رأسك نفقاً ؟»

وما قالته كان حقاً، فالشعر المتساقط جعل مفرق رأسى واسعاً جداً، وضحك زوجى، لم أر ضحكته منذ زمن، وضحكت أنا كذلك لضحكه، ضحكت بشدة، على الرغم من ذلك فقد بلغ تعداد شعرى المتساقط فى تلك الليلة مائة وخمساً وأربعين شعرة.

لكننى قررت عدم القيام بهذا الأمر ثانية، قمت من مكانى، تجولت فى المنزل، كان زوجى منهمكا فى عمله، كانت الكلمات تتدفق من قلمه بسرعة، أدنو منه، أرغب فى أن أمرر يدى على شعره المجعد، لكننى أخشى أن تتعثر الكلمات وتهرب من ذهنه، كنت أقف بجواره فترة طويلة على هذه الحال دون أن ينتبه

لوجودى، إنه يقول :

- «حينما أقوم بعمل يكون ذهنى فى مكان آخر»

عدت لأقف أمام المرآة، كنت أرغب فى طرح الشعر المصطف على التسريحة بعيداً، لكننى لم أفعل، وقمت بعده، وفكرت فى شىء آخر .

«مائة وأربعون، مائة وخمسون، مائة و .....».

إن شعرى المتساقط أعاد ذكرى الأموات على خاطرى، وأعادتنى ذكرى الأموات إلى ذكرى الأمهات اللائى رحلن، وأعادتنى ذكراهن إلى ذكرى أمى التى لا تزال على قيد الحياة، لكنها لم تأت إلى منزلنا منذ عهد بعيد، لكم اشتقت إليها !

وأفاقنى صوت المقعد وهو يسحبه، فمسحت دموعى على الفور، كنت أعلم أن زوجى يتأثر من البكاء، فهذه هى حال الفنانين، فهم شديدو الحساسية تؤثر فيهم أقل الأشياء ويتأذون من أجلها. هذا ما كان يقوله زوجى وأنا أصدقه دوماً. أساساً أنا أصدق كل ما يقوله، وهذا ما تقوله أمى.

وقبل أن أنتهز الفرصة للحوار مع نفسى، أو على الأقل لجمع الشعر المتساقط من فوق التسريحة وتنظيمه، وضعت المشط فوق

رأسى، فتدحرج برفق من بين أصابعى وسقط أمامى على الأرض. حمداً لله، لم ينتبه زوجى إلى شىء، سألته : سبع أم ضبع ؟ ولم يرد علىَّ، كان يبتسم فقط، كنت أعلم أنه سبع، فقد كان سبعاً على الدوام، أخذ يدى بين يديه للحظة، ثم ألقى بجسده على السرير، وحينما رغب فى النهوض تملكنى الضيق والغضب، بقيت على الوسادة أتتبع صوت أقدامه بعينى المغلقة، توقف للحظة بجوار التسريحة، شاهد شعرى هذه المرة، ينظر إلى وهو يبتسم فى سخرية، ثم يمضى.

«إن الضحك على الميت لمن القسوة» على الرغم من أنه فنان!!

وبعد لحظات يعلو صوت السيفون، وأمسك بالمشط ثانية بإحكام بين أصابعى، وأعد :

– «مائة وستون، مائة وسبعون، ...»

ضياع امرأة متوسطة

طاهره علوى

أجلس في المطبخ أمام النافذة، أنظر أحياناً بالساعات على النوافذ المقابلة، على هذه النافذة القريبة التى أسمع منها صوت مذيع الإذاعة بجلاء، وعلى تلك البعيدة التى تظهر منها هالة من الضوء وثنية من الستارة. عندئذ أحاول أن أتخيل من يعيشون خلف هذه النوافذ، هل هم خائفون ؟ هل هم سعداء؟ ... هذا هو الشيء الذى أقضى فيه معظم أوقاتى.

وخارج المطبخ، تعلو صيحات خمسة أطفال تتراوح أعمارهم بين السابعة والثامنة، اثنان منهما ابنا الجارة التى تسكن فى الشقة السفلية، وأحدهم ابن الجارة التى على يمينى، واثنان ابناى أنا، غالباً ما يكون تجمعهم فى منزلى لأن لدينا سلحفاة وطيوراً وبعض أنواع العناكب والحشرات.

ويدوى صوت الموتوسيكل فى الحارة، إنه بائع الصحف، أعد حتى الرقم ٢٥ فيعلو صوت طرقعة، إنه يلقى بالصحيفة من أعلى الباب إلى الفناء، أصعد على الفور، أطوى درجات السلم فى سرعة، أقف وسط الفناء الذى تبلغ مساحته ٣×٥ م، أخطو مسرعة نحو الصحيفة، أنحنى، أمسكها، ألقى نظرة خاطفة على العناوين العريضة فى صفحتها الأولى، ثم ألهث بحثاً عن صفحة الحوادث، إنها ممتلئة بالأخبار، فأشعر بالسعادة لأن قراءة هذه الصفحة مما يروح عنى. أهبط السلم درجة بعد أخرى أو درجتين درجتين، فكلما أسرعت تمكنت من الاستمتاع.

أتجه إلى الحجرة الخلفية، وهو المكان الذى لا يصل إليه أى صوت أو أى ضوء، أضىء المصباح، وأتجه فوراً إلى صفحتى المحببة، أقرأها بشغف بالغ، غالباً ما يصيبنى الفزع والخوف بعد قراءة هذا النوع من الأخبار، وإذا ما كان الموضوع غريباً أو مؤلماً تتغير نظراتى لفترة تجاه كل من حولى، خاصة زوجى وأطفالى، أتجنب كل شىء وكل شخص، وهذا هو سر سعادتى.

واليوم تمتلئ صفحة الحوادث بالأخبار، إلا أنها لا تحوى موضوعاً خاصاً، فهذا تقرير عن حادث فى أحد شوارع همدان،

وهذا خبر عن انتحار شاب فى السادسة عشرة من عمره، وهذا موضوع حول مشاجرة بين صديقين أدت إلى مصرع أحدهما، وهكذا.

لكننى أفضل الموضوعات التى تتعلق بالأسرة، وبينما ألملم صفحات الجريدة، يقع بصرى على صورة إحدى السيدات، وكتبوا فوقها :

– «مفقودة» وتحت الصورة شرح عن ملابسات اختفائها وعلى الرغم من أن مثل هذا الخبر دوماً ما يكتب على نفس هذا النسق فى ذلك الموضع إلا أن الأمر يختلف هذه المرة، تقول أحداث الخبر :

«حينما عاد الزوج إلى منزله بعد سفر استغرق عدة أيام، لم يجد أثراً لزوجته الشابة الحنون، ويطلب من القراء مساعدته فى العثور عليها والاتصال به على الهاتف الذى يبدأ بـ ٥٣٨»

– ما الذى يضطر المرأة لترك منزلها وحياتها ؟!

أدقق أكثر فى الصورة، إنها غير واضحة المعالم، وفجأة كاد قلبى يتوقف عن الحركة، زاغ بصرى، ارتبكت حواسى، ألقيت بالصحيفة بعيداً، وضعت رأسى بين يدى، ضغطت عليه، قلت لنفسى :

- «اهدئى ! اهدئى !» لكننى لم أستطع، نظرت ثانية إلى الصورة، إلهى ! كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ قفزت من مكانى، تجولت فى الحجرة، خرجت، لا يزال الأطفال يلعبون فى نفس المكان، إنهم كالدمى يتحركون هنا وهناك، أتوجه إلى المطبخ، أغسل وجهى بالماء وكذلك رأسى، ألتقط أنفاسى عدة مرات، أعود إلى الحجرة ثانية، أنظر إلى من حولى، وتمر أحداث الماضى أمام عينى : الزواج، وشراء المنزل، وإنجاب الأطفال، و...

إننى أعرف هذه الحجرة منذ وقت طويل، أعرف مكان كل شىء فيها جيداً، أستطيع العثور على أقل الجزئيات وأنا مغمضة العينين.

أمسك الصحيفة ثانية، أقف تحت المصباح، أضع الصفحة تحت الضوء، أقرأ مرة أخرى النص المتعلق بـ «المفقودة»، أدقق النظر هذه المرة على الصورة، إنها هى، إنها أنا. هذه هى نفس الصورة التى أخذتها منذ بضعة أعوام لبطاقة التأمين الصحى. لدىَّ منها نسخ أخرى، توجهت مسرعة أبحث عن ألبوم الصور، لا تزال إحداها فيه، كنت أرتدى المقنعة فى هذه الصورة ويبدو

بعض الشعر على جبهتى، نظرت إلى الصورة وهى أمامى، تتملكنى الدهشة، كانت چيبتى طويلة إلى حد ما مراعاة الاحتشام وبها بعض الكسرات، ألقى بالصورة جانباً، يضطرب قلبى، أضع يدى فوقه، أحافظ على هدوئى بصعوبة، يستقر العرق بارداً فوق جبهتى، تخرج أنفاسى دون انتظام، أحاول أن ألتقطها بصعوبة، أشعر وأنا فى هذه الحال وكأن الحجرة قد خلت من ذرات الأكسجين، أقطع صفحة الحوادث على الفور، وأخفيها تحت مائدة الحياكة ومعها الصورة، أخرج من الغرفة، فإذا برائحة الطعام المحترق والدخان تملآن المطبخ، والأطفال يلتفون حول قفص الطيور يتأملون حركاتها، أتوجه بسرعة نحو المطبخ، أقوم بتشغيل شفاط الهواء، أحاول أن أزيل آثار هذا الجرم، أخفى الإناء المحترق تحت المنضدة، وأضع إناءً آخر فوق الموقد، وأجلس ثانية أمام النافذة، أفكر فى النوافذ المقابلة أو التى تليها، لكن ...

لم أجد الفرصة سانحة للنظر فى الصحيفة ثانية حتى الخامسة بعد ظهر الغد، حيث ذهب الأطفال مع آبائهم إلى حديقة الحيوان. وأخيراً، بعد ما خلا المنزل، أغلق باب الصالة.

وأذهب إلى الحجرة، وأمسك بالصحيفة والصورة، وأعود إلى الصالة حيث يجب أن أنظر إليها في النور، لا أعلم حقاً أى شعور ينتابني ؟ أريد أن أعرف، هل أنا تلك المرأة ؟ أم لا ؟

إن الموضوع الذى كتب تحت عنوان «مفقودة» يختلف عن بقية المواضيع التى تكتب فى هذا الموضع، واضح أن الذى كتبه إنسان متعلم مثقف، وضعت صورتى بجوار الصورة المنشورة فى الصحيفة، أتمعن فيهما، لا فرق، أحفظ رقم الهاتف، لكننى لم أستطع الاتصال به لمدة أسبوع.

إننى قلما أخرج من البيت، وحينما أضطر إلى ذلك يكون لشراء بعض الاحتياجات، وأحاول ألا أتقابل مع أى شخص.

أتابع أخبار الصحيفة يومياً، أدقق فى صفحاتها، أريد أن أعرف، هل تم طبع الإعلان ثانية، أم لا ؟ لكن ما من خبر. ربما نشروه فى صحيفة أخرى، لا أعلم، ولا يزال رقم الهاتف فى ذاكرتى.

حينما خلا المنزل جلست أمام الهاتف أطلب الرقم، وأحاول أن أضع يدى على فمى كى لا يصل صوت أنفاسى إلى الطرف الآخر، وعندئذ سمعت صوت رجل يتسم بالوقار والدفء، يقول

برفق : «نعم، تفضلى» .

لكننى أقطع المكالمة على الفور لشدة ما يتملكنى من الخجل، فلم أقم بمثل هذا العمل قط، وفى المرة الثانية لم أقطع المكالمة، ولم يقطعها هو كذلك، ولزم كل منا الصمت، كنت مضطربة خائفة، أخشى أن يتعرف على رقمى من خلال الجهاز لديه، وبقيت على هذه الحال حتى بدأ الحديث، قائلاً :

«من فضلك، تحدثى، لِمَ لا تتفوهى بشىء ؟ أعلم أنك لا تقومين بمعاكسة تليفونية، أنا واثق من أن لديك شيئاً ما تودين الإفصاح عنه، لكنك مترددة، أرجو أن تتخلى عن ترددك، فلن أنالك بأى أذى، إذا كان الأمر يتعلق بالإعلان المنشور فى الصحيفة فاعلمى أننى أنتظر على شغف ...»

وأنهيت المكالمة على الفور، إذن إنه هو، إنه الرجل الذى يبحث عن زوجته. زوجته ؟ زوجته ؟

لقد تزوجت منذ عدة أعوام من أحد المعلمين، معلم مغمور، أو كما تقول أمى «وسطى» سواء فى عمله أو فى سيره أو فى شكله العام أو فى معلوماته أو فى سلوكه أو فى حبه. والخلاصة أنه وسطى فى كل شىء.

لم أفكر فى التلاعب بمشاعر أى شخص، كنت دوماً أحذر نفسى :

«إن البشر ليسوا ألعوبة، ولا يجب أن يكونوا مصدراً للهوك ومرحك، إذا كنت عاطلة، فاذهبى وابحثى عن عمل فى أحد المصانع خارج البيت، لقد اقترح حسن عليك هذا مراراً، لكنك لم ترغبى، وإلا لما أهدرت وقتك فى المنزل أمام التليفون».

رغم كل هذا كنت أجلس أمام الهاتف، كانت يداى ترتعدان أثناء الاتصال، ولم أكد أصل إلى الرقم الرابع حتى علا صوت البوق، إنه مشغول، وضعت السماعة وذهبت لمتابعة أعمالى.

كان الوقت متأخراً، الساعة الآن العاشرة، إلا أننى رفعت السماعة ثانية وطلبت الرقم كاملاً، كنت أهيئ نفسى فى كل لحظة لأن أغلق السماعة لكننى لم أفعل، وفى الرنة الثالثة رفع رجل السماعة، كان صوته دوماً وقوراً هادئاً، لم يمنحنى الفرصة للتفكير :

- من فضلك، لا تنهى المكالمة، أرجوك.

واستمال الرجاء فى صوته قلبى، جعل يتحدث قرابة نصف الساعة، كان حديثه يتسم بالتفاؤل حيناً وبالحزن حيناً آخر،

وانهمر الدمع من عينى، ثم قال فى النهاية :

- يمكن أن تنهى المكالمة الآن، أظن أننى أرهقتك، لكن عليك الاتصال بى ثانية فى نفس التوقيت، دعينى أتحدث معك نصف ساعة فقط، أنا لا أعلم شيئاً عنك، ولا أريد أن أعلم، لكننى أريد التحدث إليك فقط خلال اليوم، كأنك صديق، صديق مجهول، نتحدث معاً عن آلامنا ويواسى كل منا الآخر.

ودعنى دون أن ينهى المكالمة، كان ينتظر أن أنهيها أنا، وضعت السماعة ونظرت إلى الساعة، إنها العاشرة والنصف، «هذه ليست خيانة»، أكرر تلك الجملة على نفسى ألف مرة خلال اليوم، «هذه ليست خيانة»، رغم ذلك لم أستطع أن أحكى ما حدث لزوجى حسن، لقد مضت فترة على هذا الأمر، وذكره الآن يسبب بعض المشاكل، حتماً سيقول :

«لِمَ لَمْ تذكريه فى حينه ؟! وهو على حق.

مضى الآن ما يقرب من الشهرين على نشر الإعلان، كانت الحياة تسير كالمعتاد، لكن هاتفى كان مشغولاً دوماً ما بين العاشرة وحتى العاشرة والنصف، انقطعت تماماً عن الخروج. أركع كل يوم أمام المنضدة الصغيرة التى يستقر عليها الهاتف،

وأتصل بذاك الرقم، وبعد الرنة الثالثة تماماً أسمع صوته الدافئ عبر البوق :

- «نعم ، تفضلى»

عندئذ يتوقف الزمان، وتقف الساعة ثلاثين دقيقة كاملة، دوماً يقول :

- يبدو أننى أزعجتك.

وكنت أرد وكأننى أريد الصياح :

- لا ، لم أنزعج، لم أنزعج قط.

لا يمر يوم دون أن يكون فيه شىء يستحق الحديث، يوماً يتحدث عن جمع المعونات لمتضررى الزلازل، وفى اليوم التالى يتحدث عن حدث ما داخل أحد السجون، ... والخلاصة، كانت حياته تختلف عن حياة البشر العاديين التى يكتنفها الملل، لكننى إلى الآن كنت قليلة الكلام، أحياناً أبدى وجهة نظرى خلال جملة واحدة فقط، كنت أحاول أن يكون حديثى مقتضباً مفعماً بالمعانى، فهو شخص مثقف، ولم تكن لى القدرة على مواجهة مثل هذا النوع من البشر، لم أرغب فى الحديث بشىء يهز صورتى أمامه، رغم هذا ، وبعد كل مكالمة، أقضى وقتاً فى

استعادة ما تفوهت به، وأذوب خجلاً، كنت أخشى أن يكون حكمه على كحكمى على حسن، فحسن إنسان وسطى، وأنا أستاء من الوسطية، ولو كان من المقرر أن أكون كذلك، فأحبذ ألا أكون من الأساس.

إنه يختلف عن غيره، ينظر إلى كل موضوع من زاوية جديدة، وما ذكره لى لم أسمعه من أى شخص قط حتى يومنا هذا، يختلف فى أسلوبه عن أسلوب الآخرين.

وثمة فرق آخر وهو أنه لم يجبرنى على القيام بعمل لا أريده قط، لم يفرض على أن أعطيه رقم هاتفى أو عنوانى، وعلى سبيل المثال، لم يصر قط على معرفة شىء ما لا أستسيغه فى حديثه، كان يطلب، بل كان يقترح فقط أن نتقابل، إلا أنه لم يلح فى ذلك، كان يتركنى حتى أعتاد عليه يوماً بعد يوم، لم يكن كثير المطالب، كان يرجو رؤيتى عن بعد فقط.

وقبلت فى النهاية، كنت أقف تحت شجرة بالقرب من ميدان ولى العصر، بينما كان ينتظر فى الطرف المقابل أمام البنك التجارى، وبعد لحظات يمضى كل منا إلى حال سبيله.

كان طويل القامة، شعره قد خطه الشيب، وجهه يلمع تحت

أشعة الشمس، أما أنا فقد ذهبت بالمانتو والإيشارب الأسود، أردت أن أسير دون مبالاة، لكننى حينما رأيت وجهه الحزين تملكنى الألم، فوقفت للحظة تحت الشجرة وهو ينظر إلىَّ ويبتسم.

عدت إلى المنزل مسرعة، فكرت ألا أتصل به ثانية، كيف يفكر فىَّ الآن ؟

هل يظن أننى امرأة مستهترة يمكن أن تخرج من منزلها عند إبداء أقل نوع من الاهتمام بها ؟ وعلى الرغم من ذلك اتصلت فى غداة ذلك اليوم فى تمام الساعة العاشرة، كان صوته يرتعد شوقاً، يتحدث بشغف بالغ، شغف يفوق كل يوم، ألح علىَّ أن نتقابل فى نفس اليوم.

منذ ذلك اليوم كان جلوسنا فى إحدى الكافيتريات، وذات مرة وبينما يقوم بإخراج النقود من حقيبته لدفع الفاتورة رأيت صورة امرأة، إنها نفس الصورة المنشورة فى الصحيفة، هى نفس الصورة مقاس ٤ × ٦ التى أخذتها لبطاقة التأمين الصحى، بعدها عرض علىَّ أن أشاهد بعض الصور، ومضينا فى الطريق جنباً إلى جنب ونحن نشاهد الصور، وحينما نظرت

من بعيد إليه ثانية وجدته مألوفاً للغاية لدىَّ، كنت أشعر أننى رأيته مرات ومرات، ربما كان هذا من أثر مشاهدة الصور !!.

وضعت رأسى على زجاج التاكسى، وفكرت أن دوائى هو أخذ حمام بارد وقرص إسبرين.

لم أستطع أن أرفع رأسى عن الوسادة لمدة يومين، وحينما نهضت من السرير كنت أتعرف على نفسى بصعوبة شديدة، لقد شحب وجهى، وتورمت عيناى وشعث شعرى.

مضيت إلى الهاتف وأنا على هذه الحال كى أسمع صوته، وفجأة جالت بخاطرى آلاف الأخيلة، إنها أنا، هناك، بردائى وزينتى، بنفس الابتسامة، بنفس النظرة، تلك النظرة الحائرة، كأن كل شىء يحدث للمرة الأولى، أو للمرة الألف، كل ما يحدث يوضح أننى غريبة، إننى أعرف كل شىء، ماذا أفعل ؟ لا أعلم، لقد تقارب كل من جهلى وعلمى وصارا كأنهما شىء واحد !!

وفى صباح الغد، وقفت أمام منزل قديم، يقع فى حارة طويلة ضيقة، ترتفع قليلاً عن تقاطع اميريه، سألت نفسى : ماذا أفعل هنا ؟ أريد العودة، ينفتح الباب الحديدى، ويخرج رجل ويقول :

– أحسنت بمجيئك، أهلاً بك فى منزلك، لماذا تقفين ؟!

وبدأ الظلام يحل على المكان، أشرت بيدى إلى أول تاكسى، يقول السائق :

- ثلاثمائة طومان حتى شارع انقلاب (أى الثورة).

أعود إلى المنزل، أعاهد نفسى على عدم الاتصال ثانية، لن أتصل غداً، ولا بعد غد، ولا الأسبوع القادم. لكننى لم أستطع، أعد اللحظات حتى أجلس أمام الهاتف، أتصل بـ ٥٢٨ ويداى ترتعدان، فعلت هذا مع أول فرصة خلا فيها المنزل، فإذا برجل يقول :

- من فضلك سيدتى، من تريدين ؟

- السيد جواد .

- إنه غير موجود.

- لا يقيم هنا منذ أعوام .

- كيف هذا ؟ لقد حدثته منذ أيام !

- ثمة خطأ يا سيدتى، إنه فى أوروبا منذ فترة

- أوروبا !! أنت كاذب .

- سيدتى، من فضلك، لا تبدئى بالإهانة.

- إذن أعطه السماعة، يجب أن أحدثه، لدى كلام مهم.

- سيدتى، بأية لغة أتحدث ؟ إنه غير موجود فى إيران منذ

أعوام، وليس لدى أى رقم له.

– سيدى الفاضل، أرجوك لا تتعبنى أكثر من هذا، لو أنه قد قال لك أن تبلغني أنه ليس بالمنزل ...

– سيدتى، الموضوع ليس كذلك، هو غير موجود فى الواقع.

– على الأقل أخبره برسالتى.

– أنا فى شدة الخجل منك سيدتى، ليس فى إمكانى ذلك، كيف أبلغها إليه ؟

– إنك تكذب، أنا واثقة من ذلك، لكنك أخطأت خطأً كبيراً، خطأ لا يغتفر، أنت لا تعلم أصلاً ما هو هدفى، أريد أن أتحدث معه بشأن الإعلان المنشور فى الصحيفة، إنه أمر غاية فى الأهمية.

– أى إعلان ؟!

– المتعلق بفقد زوجته.

– نعم، تذكرت، أهذا ما كنت تقصدين ؟ حسن، لقد مضى عليه وقت طويل، أعوام طوال، إنه منذ فترة طويلة.

– أنا لا أصدقك، أتتخيل أنك تتحدث مع مجنونة ؟! أنا لا أريد أن أسمع صوتك الشؤم هذا ثانية، لا أريد ...

وأضع السماعة فوق الهاتف، وأنهض من مكانى، أين الصحيفة ؟

يجب أن أجدها، يجب أن أجد الإعلان المنشور فيها، فهو الذكرى الوحيدة الباقية لى.

المترجمة

هويدا عزت محمد

- أستاذ مساعد بكلية الآداب - جامعة المنوفية - قسم اللغات الشرقية (فرع اللغة الفارسية)
- حاصلة على الدكتوراه فى الأدب الفارسى ١٩٩٦ - من جامعة عين شمس.
- من إنتاجها العلمى :

* العلاقات الإيرانية الألمانية وأثرها على الأدب الفارسى فى القرن العشرين (١٩٩٧).
* صورة المرأة فى الشعر الفارسى الحديث والمعاصر (١٩٩٨).
* المسرح الإيرانى فى الربع الأول من القرن العشرين (١٩٩٩).
* ترجمة ودراسة لرواية «لا تنسى» للكاتبة مريم جعفرى (٢٠٠٣).
* ترجمة ودراسة لكتاب «الثورة الإسلامية» - المقدمات والأسباب للدكتور صادق زيبا كلام (٢٠٠٤).

المحتوى

المحتوى

المحتوى

للنشر فى السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يسلّم إرفاق أسطوانة (C.D) أو ديسك إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أو لم يطبع .

إصدارات

آفاق عالمية

٤٥- نماذج من النقد الروسي الحديث
ترجمة : د. أنور إبراهيم

٤٦- تشارلز ديكنز
تأليف : چورج ونج
ترجمة : فريدة النقاش

٤٧- اتحاد العمال يدفن رجله المتوفى (وقصص أخرى)
مختارات من : هنرى لوسون
ترجمة وتقديم يوسف عبد العزيز على

٤٨- سافو شاعرة الحب والجمال عند اليونان
تأليف : د. عبد الغفار مكاوى

٤٩- كلب بنى غامق (وقصص أخرى)
اختيار وترجمة : فؤاد قنديل

٥٠- رجل القمر بيلى كولينز
ترجمة : أحمد الشافعى

سلسلة

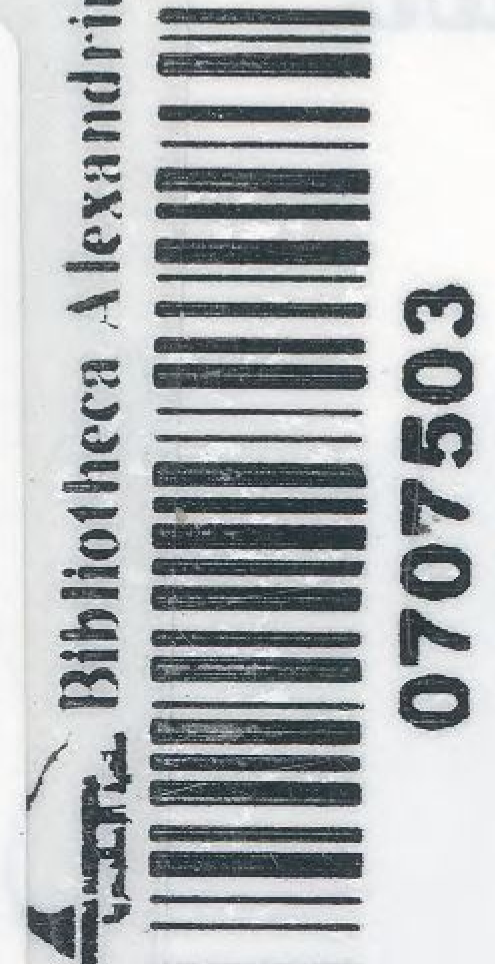
آفاق عالمية

منذ فجر التاريخ الإنسانى والثقافة الفارسية تكوّن رافداً بارزاً من مكوّنات الوعى والفكر، إلى أنها تشكل مع الثقافة العربية بؤرة إشعاع ثقافى امدّت العالم باستنارة حقيقية عبر العصور، وبخاصة وهى تمتزج بها نقلاً وترجمة وتفاعلاً.

وفى هذا الكتاب يستطيع القارئ أن يطّلع على أحد ملامح الأدب الفارسى فى تجلياته العصرية؛ إذ تقدم لنا د.هويدا عزت صوت المبدعة الإيرانية عبر نماذج من القصة القصيرة لكاتبتيْن تمثلان هذه الظاهرة، وتقفان رائدتيْن للأدب النسائى هناك.

وإذا كان الحس الإنسانى هو أبرز ما يشيع فى هذه القصص بتلاحم هذا الحس مع ضمير الكاتبة - فى كل قصة - واختراقه لتفاصيل الحياة اليومية؛ فإن الإطار الفنى لهذه النماذج سيكون الرهان الحقيقى الذى يتجلى فيه الإبداع الإيرانى المعاصر لاثنتيْن من أكثر الكاتبات وعياً وثقافة وطموحاً فى التجديد.

الرسم للفنان الإيرانى اردشير محصص





الهيئة العامة لقصور الثقافة

السعر: جنيهان